

## اليمن بين خطابين

اللغة هي مقياس كل شيء وفاتحة كل كتاب وأسرع مؤشر وأقله ضبابية لفهم الساسة وتجار الحروب ولفهم الأجدات والنفوس. اليمن يحكمها اليوم خطابان كالهما قاتل. يزعزم أحدهما الحوثيون والرئيس السابق صالح، والآخر الرئيس هادي وحكومته.

مكّنت وسائل التكنولوجيا العلة من «قش» اللصوص والمخادعين بشكل أكثر وأسرع، لتوثيق ما يصدر عنهم للرأي العام، وللمستقبل. اللغة تصطلحها تقنيات البث المباشر وتعري بها أققنة كثيرة، وتجعل منها كنزاً تحليلياً لراکز الأبحاث وأجهزة الخابرات، إضافة إلى رسدها لغة الجسد، مادة النفسانيين الفضلة لتعمية الساسة، وهم يتسزّون بأغلى البدلات وربطات العنق. وهذا في العالم كله.

صالح والحوثي

في مقابلة له مع قناة «روسيا اليوم» في أواخر نيسان/أبريل 2016، قال علي عبد الله صالح عن الحرب المدمّرة وعواقبها في اليمن «نحن شعب متعود.. كنا نأكل الرز مع الدجاج، لأن نأكل الرز بلا الدجاج». ببساطة، في بلد يجوع بالمعنى الحرفي ما يقارب 80 في المئة من سكانه. أربعة عقود من العمل السياسي والآلاف الخطابات التي ألقاها صالح دفننه بحكم الثقة إلى الاستغناء عن الخطابات المكتوبة، لكنّها وضعت أمام نفسه أكثر من أي وقت مضى. إذ لم يعد اليوم يتعامل مع الألفاظ كرجل سياسة أو دولة بل كزعيم مافيا متحزب من كل شيء وكل التزام، حتى لثوي.. كخصم يريد إيلام خصومه. لكنه في خطابه يفضح عن نفسه أكثر مما يقول عنهم. في مقابلة له مع قناة العربية أواخر العام 2009 قال مدافعاً عن حروب صعدة التي خاضها ضد الحوثيين أن الدولة لم تخسر شيئاً، «هو جندي وسيأتي بدله...» هكذا تحدث عن حياة عشرات الآلاف من اليمنيين راحوا ضحية حروب لم يفهم أحد أسبابها حتى اليوم. وهي حروب حولت صعدة من مدينة الزمان والفلاحين والأغاني والبهود والقبائل اليمنية التعايشية والتنوعة بسلام ومحبة، إلى مدينة محافظها أكبر تاجر سلاح في اليمن والقرن الأفريقي، وتتوسّع مقابرها أكثر من مزارعها.

خطاب صالح يشابه كثيراً مع خطاب خصمه سابقاً الذي يتحالف معه الآن (عبد الملك الحوثي)، ويخضع الأشخاص لعقوبات دولية بموجب قرار مجلس الأمن الدولي منذ العام 2014. قال عبد الملك الحوثي إن على المحتجين على صفقة «المجلس السياسي» والشراكة التي عقدها مع علي عبد الله صالح مؤخراً أن «يضربوا رؤوسهم بأقرب صخرة». هكذا، دون أدنى حساسية تجاه إسمات وأطفال آلاف من أبناء صعدة أو حتى من أعضاء جماعته الذين سحقهم صالح بحروبه السنتية ضدهم. تساوى هؤلاء في خطاب الحوثي مع الجنود في خطاب صالح، من دون أن يفكر أحدهما في تبرير تحالفة مع من اعتبره خصماً تاريخياً لسنوات، وحشد طاقاته لتشيطلته أمام أنصاره.. حتى ليصعب تصور كيف أمكنهما نزع تلك الشاعر المتبادلة بينهما في الطريق إلى «الكروسي»، أو على الأقل التنازل عن أي من الخطابات يعكس ما يحمله كل منهما للآخر.

وثالثهما هادي، مثلهما

السؤال هو لماذا يضطر البعض إلى التعامل مع خطابات

## 1

الكبار في قبيلته (آل مازم)، أمّت آل مازم خروج آخر الضباط الإنجليز بسلام. حصلت مقابل ذلك على نفوذ واسع في القرار الأمني والقتالي والعسكري في البلاد، كمكافأة كان أحد أباطها عبد ربه منصور هادي نفسه.

وقد استمرت تلك المهمة الأمنية آل مازم حتى بعد نزوح مجموعة من قادة الجنوب إلى صنعاء بعد أحداث كانون الثاني / يناير 1986 (التي كانت مواجهة بالغة الدموية بين قيادات اليمن الجنوبي حينها)، لتأمين حياة من نزح من القادة الجنوبيين إلى صنعاء. وينحدر هادي ورئيسه وقتها (علي ناصر محمد) من محافظة أبين التي تنتمي إليها القبيلة، وكانت المناطقية إحدى السمات الأساسية لذلك الصراع. «وعيه» ذلك لم يستطع هادي الخلاص منه حتى وهو يتزأس البلد بعد ثورة عارمة منحتة دعماً داخلياً وخارجياً لا مثيل له في التاريخ اليمني. فحتى وهو في قمة البلد لم يستطع إلا الإفصاح عن وعيه الكامن، المشابه

ما الذي تغير في «المناطق الآمنة» من سوريا بسبب الحرب؟ النزوح إليها والاستثمارات فيها.. التي تفيد قلّة، وفي تونس الثورة، يستمر الفلاحون بلا أرض! و«بيتونة» ترصد الشمر حين يحتل المنبر.

لوعي صالح الذي قرأ من دفتره نفسه على حد قول واحد من كبار قاداته العسكريين، أو على حد تعبير ساخر لكاتب

البصمة الوراثية لكل المواطنين والمقيمين في الكويت: مشروع بتداعيات كثيرة.. فهل يُلغى بعد حل مجلس الأمة؟ وفي حلب: خريطة نفسية وعملية للتعامل مع الطرقات الآمنة، و«فكرة»:

الإدمان على الإنترنت.

لوعي صالح الذي قرأ من دفتره نفسه على حد قول واحد من كبار قاداته العسكريين، أو على حد تعبير ساخر لكاتب

البصمة الوراثية لكل المواطنين والمقيمين في الكويت: مشروع بتداعيات كثيرة.. فهل يُلغى بعد حل مجلس الأمة؟ وفي حلب: خريطة نفسية وعملية للتعامل مع الطرقات الآمنة، و«فكرة»:

الإدمان على الإنترنت.

لوعي صالح الذي قرأ من دفتره نفسه على حد قول واحد من كبار قاداته العسكريين، أو على حد تعبير ساخر لكاتب

الجماعات المصرية: كشف عذرية وأشياء أخرى. وبألف كلمة: صور: التوصل كما كانت. وعلى الموقع: «التعفيش» في الحرب السورية، والمرأة الريفية بتونس، و«الحشد العشائري» في العراق، وحركة «غلبة» في مصر.

لوعي صالح الذي قرأ من دفتره نفسه على حد قول واحد من كبار قاداته العسكريين، أو على حد تعبير ساخر لكاتب

لوعي صالح الذي قرأ من دفتره نفسه على حد قول واحد من كبار قاداته العسكريين، أو على حد تعبير ساخر لكاتب

لوعي صالح الذي قرأ من دفتره نفسه على حد قول واحد من كبار قاداته العسكريين، أو على حد تعبير ساخر لكاتب

لوعي صالح الذي قرأ من دفتره نفسه على حد قول واحد من كبار قاداته العسكريين، أو على حد تعبير ساخر لكاتب

«أصحاب أزال» و«أصحاب أبين»

لم يختلف عبد ربه منصور هادي كثيراً. ففي إطار مدحه لمخرجات «مؤتمر الحوار الوطني» أنصب اهتمامه على أنها كانت ستضمّن توزيعاً عادلاً للنفط والثروات الطبيعية بين الناس. هذه الجزئية (التي كررها الرئيس هادي مراراً في مقابله الأخيرة مع قناة الجزيرة من نيويورك في 22 أيلول/سبتمبر 2016)، هي ما يشي بأسوأ ما في المخرجات التي تمتدحها الأمم المتحدة والعالم، في تعريف مختل للتسوية والموارد وملكيّتها، وكيف أن هذه ثروات للأجيال وللبنى التحتية وليست لـ «التقاسم»، ناهيك من تقاسمها بين مجموعة من الفاسدين وللصوص والمجرمين.. هذا منطبق للمقايث، وهو نفسه خطاب صالح.. مقحّحاً ومطوّراً. في المقابلة نفسها، قال الرئيس هادي إن الكل في اليمن قبل بالأقاليم باستثناء «أصحاب إقليم أزال»، وهو يقصد العاصمة صنعاء، وشمال الشمال.. هكذا يتحدث عن ملايين اليمنيين بنفس مناطقي وعنصري بينما هو أقسم يمينا دستورية بأن يكون رئيسهم. وفي تسريب حديث نشرته قناة الجزيرة مؤخراً لصالح، كان يحذر قائداً عسكرياً شمالياً في منتصف العام 2014 من السماع «لصاحب أبين»، ويقصد عبد ربه منصور هادي رئيس الجمهورية حينها.

تشير وثائق ويكيليكس إلى سخرية الرئيس اليمني السابق صالح في إحدى زيارات ضيفه، قائد القوات المركزية الأميركية حينها، من الضحايا اليمنيين للطائرات الأميركية من دون طيار، (درونز)، وتبيحه بالكذب على البرهان اليمني بأن الطائرات يمنية قائلاً: «استمروا في القصف، سنستمر في القول إنّها طائرات يمنية». اليوم يتجبح صالح بمانهضته للطائرات السعودية تحت مسمى الوطنية، بعد أن كان قد فتح السماء لأميركا بل وحتى للسعودية في آخر حروب صعدة.

لم يكن هادي أقل شجاعة في أذى اليمنيين من صالح، فقد ذهب به المطاف إلى الافتخار علناً بطائرات «درونز» قائلاً إنّها تنافس العقل البشري، بينما كانت تحصد حياة اليمنيين في مسقط رأس الرئيس هادي نفسه، محافظة أبين. إنّهما خطابان يتنافسان ويتفتنان في إلحاق الأذى



سنّار نعمة – العراق

## المناطق المحرّرة في العراق.. خرائط وحقول من الدّم

ديالى. ويمكن الحديث عن بني تحتية مدمرة في قضاء بعقوبة وناحية السعدية، وحاجة أربع وحدات إدارية إلى محولات كهرباء ضخمة. ونتيجة جلوس ديالى على هذا الصفيح الساخن، تعاني من إشكالية استقبال الأُسُر العائدة من النزوح، وتخرج من ضغط محافظة كركوك القريبة التي تُعد نقطة أزمة بين بغداد وأربيل. حيث يقوم مسؤولو محافظة كركوك بين مدة وأخرى بترحيل قسري للأسر (العربية) القادمة من محافظة ديالى مخافة اندلاع أزمة ديموغرافية في كركوك بين العرب والأكراد.

ومعروف أن للحفاظة تسمية تدليل بين «قواد العراق الجديد» وهو «مناطق متنازع عليها». وعليه رحلت كركوك مؤخراً (50 أسرة قادمة من ديالى. وملف العودة في ديالى له شأن صعب، لأن هذه الموجات العائدة توضع في معسكرات الجيش لغرض التثقيب من كل أسرة عائدة وتدقيق الأسماء فرداً فرداً مخافة اختراقهم من قبل عناصر داعش. وهذا كله لضرورات الاحتياط. لكنه احتياط أّح للموت.

كما أن محافظة ديالى استقبلت العام الدراسي الجديد بـ127 مدرسة ابتدائية مسوّاة بالأرض. أما المدارس التي بقيت على قيد الحياة فإن كل واحدة منها تكون بأربع وجبات دوام.

صالح الدين

في صلاح الدين عاد – بحسب الحكومة العراقية – 7

آلاف نازح موزعين على قافلتين إلى ناحية يثرب التي أعلنت أنها منكوبة مع قضاء بيجي، ففيها 12 ألف دارٌ منسوفة بالصواريخ والقذائف.

ومثل محافظة ديالى، حاجة صلاح الدين ماسة لرفع الأنغام والمتفجرات من خطوطها الحدودية مع المحافظات القريبة، ونتيجة وضعها الأمني الهنّز يُطالب مسؤولوها بتزويد الأجهزة الأمنية بالآليات والمعدات والأسلحة من أجل مهمة «مسك الأرض» بعد فصل التحرير. خديماً يوجد حالياً مستشفى واحد في كلّ المحافظة. وحسب الأولويات التي يريدها المسؤولون لمواطني صلاح الدين، تتقدم الحاجة إلى الأمن (بعد التحرير)، والغذاء، والدواء، وفيما يتعلق بإعمار البنية التحتية، أعلن برنامج الأمم المتحدة للتنمية (UNDP) إحالة 44 مشروعاً خديماً للتنفيذ.

جبل سنجار

جبل سنجار هو بحق جبلٌ من الحزن.. في قضاء سنجار الذي يسكنه الكون الإيزيدي غيمة كثيفة من الظروف السيئة تحيط بـ10 آلاف أسرة، ونتيجة الحملة الشرسة التي تنهّزها تنظيم داعش على سكان هذا الجبل أصبح الإيزيديون في مهبط الريح. فمُنذ 2014/12/17، وقت إعلان تحرير ناحية السنونو، ومنذ 2015/11/13 حيث الإعلان النهائي

عن تحرير قضاء سنجار، لم تُمد يد العون لأهالي هناك، لا من الحكومة العراقية ولا من المجتمع الدولي ما عدا 12 مولد كهرباء، و3 أحواض ماء كبيرة، وجرافة عدد 2 كصدقة ألمانية. وما زال يدافع رجال الطائفة الإيزيدية في معبد لالاش من أجل درء خطر محو الإيزيديين من الوجود. فهم يبحثون ليل نهار عن مصير 3734 مختطفاً ومختطفة من الإيزيديين، ويقاوضون من أجل إعمار قضائهم لتأمين عودة 350 ألف نازح إيزيدي في كردستان.

وإن كانت الفرق الحكومية مع الفريق الدولي استطاعت زيارة الفلوجة، وديالى، والشرايط لاطلاع على واقع تلك المناطق الخدمي، فإن أي فريق لم يزر قضاء سنجار الحَاط بـ27 مقبرة جماعية صنعها تنظيم داعش لجثث الإيزيديين. وتلك المقابر سُور بها القضاء وملئت بالألغام والمتفجرات، وفخاخ الديناييت، ونتيجة لوقوع السنجارين تحت هجمات تنظيم داعش الشرسة، ومعاتنتهم من ضعف الاستجابة لنداءاتهم، تفكّر الأجيال الشابة بالهجرة الجماعية إلى دول أوروبا، فيما شيوخ الطائفة يقولون: الموت في أرض أجدادنا حلّو، والموت في الغربة مر!

ميثم الحربي

باحث من العراق

### الموصل تُحرّر العراق

بلا قتال! وظلّ المسؤول الأول عن البلد يكابر ويحوّر الواقع ويتصلّن من مسؤوليته بلا حجل. وظلت التشكيلات الكردية تتفحص مغناصها من الوضعية النشاذة، وظلّ الخطاب المذهبي، والإضطهاد والاستخفاف وتوسّل الغلبة يرمي بكتل من السكان في شباك خُلص متوهم.

عانت الموصل كما الأنبار وسنجار.. في ظل داعش الذي سحق الجميع: المسلمون السنةً كما المسيحيون والإيزيديون وسواهما مما يقال له «الأقليات»، وهو تعبير مريض أصلاً ومذموم. وحين ستختلص أخيراً من طغيان هذه المجموعة، فستبدأ عندها الأسئلة الجديدة التي تحتاج إلى إجابات بالعلمى العميق للكلمة، بما يتجاوز ترهات ما يقوله البارزاني من أن مشاركة الكرد في المعركة ستقربهم من «دولتهم المستقلة»، وما تراه تركيا كحقوق وامتيازات ترغب بتسجيلها، وما تشعر به إيران من غيظ لإفلات

## سوريا المناطق الآمنة: النزوح والاستثمار

يتخلّص النازحون من طوفان ذكياتهم وهم يعبرون خطوط الاشتباك اليومية الرسومة بعناية، وخطواتهم تحيّد عن مسارات الدم والخراب. يقصدون النجاة في وجهاتهم المتفتحة تلك، ووجهاتهم تدلّل أيضاً على مواقفهم من الصراع القائم، وتشير إلى الأماكن التي جاؤوا منها. فالنازحون المعارضون للنظام تشتتوا في دول الجوار، أغلبهم ارتحل إلى مخيمات بأشسة في لبنان والأردن وتركيا. فيما قصد قسم من النازحين الأوائلين المناطق الآمنة، ولم يقطنوا في مخيمات الإيواء التي أنشأتها السلطة في مقار معسكرات ما تعرف بـ«مخيمات البعث»، وشيبيبة الثورة، بل استأجروا مساكن، مواطنين بذلك على حياتهم التي اعتادوها، لكنهم في آن واحد حولوا مع سواهم من السكان المحليين مناطق سيطرة النظام إلى أسواق استثمارية تقاد إليها فوائض العملة الرقمية الناشئة عن اختلال عميق في توزيع الدخل القومي، والمترابكة أصلاً لدى مراكز النخب الطائفي، ولدى ساسة الحرب الجديد.

واقِعٌ ديموغرافي جديد

يترك النازحون خلفهم اختراعات متقنة لذوي كانوا يملكونه، يمشون إلى منافذ الخلاص المتاحة أمامهم. وهذا يشبه تجاوز صدمة الولادة من جديد. تُذكرنا مقوضة شؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة بأعداد النازحين داخل سوريا وباللغة نحو 7.6 ملايين شخص. هؤلاء اهدوا إلى المناطق المستقلية بعيداً من ظلال الحرب. قصد النازحون المواليون من حلب مدينتي اللاذقية وطرطوس بصورة أساسية، فيما توجه النازحون المواليون من ريف دمشق إلى السويداء. وبعد عام واحد من تحول انتفاضة آذار/ مارس 2011 إلى نزاع مسلح، هجر قرابة 750 ألفاً من سكان ريف دمشق، لكنهم فقط قصد مركز المعامسة، فيما تبعثر الثلثان بين مناطق آمنة من ريف دمشق، وبين محافظة السويداء في جنوب البلاد. وبحسب دراسة نشرتها وسائل إعلام رسمية في تشرين الثاني/ نوفمبر 2013، فإن مدينة اللاذقية استقبلت 1.5 مليون نازح طردهم الاقتتال العسكري من حلب وريفها، بينما توافد قرابة المليون نازح إلى محافظة طرطوس الساحلية أغلبهم جاءها من حلب وحمص وحتى من ريف دمشق البعيدة منها. أيضاً استقبلت مدينة السويداء قرابة 550 ألف نازح جئهم من ريف دمشق ومن محافظة درعا القريبة منها. لكن المحافظات الآمنة الثلاث مجتمعة لا تشكل سوى 5.26 في المئة من المساحة الإجمالية للبلاد، قصدها خلال عام 2012 فقط حوالي 2.5 مليون نازح، وهذا أريك معادلة العرض والطلب على العقارات، ما رفع بدل الإيجار إلى نحو 5 أضعاف ما كان عليه في عام 2011. مجدداً تستقوي البريحية الطائفية هنا على ملامح الأزمة الإنسانية الراكبة التي يعيشها النازحون، وتتدخل القوالب البراغمية وكأنها بوصلة يتبعها الجميع، لتعيد تثبيت الواقع بصورة مادية تحمل تديراً قاسياً لاستثمار اللحظة العيشة قدر استطاع.

همام السيد - سوريا

شَماعة جديدة للثراء

غير أنّ النازحين هم الذين تحملوا نظرياً لملامة ارتفاع الأسعار في المناطق الآمنة بحجة أنهم رفعوا الطلب العام على السلع، وكان العرض من السلع لم يرتفع بالمقابل، حيث ظل هذا المعنى الركيك شَماعةً تعلق عليها السلطة فشلها المتواصل منذ عام 2012 في إدارة الشأن الاقتصادي للبلاد، كما وجد فيها أيضاً كبار التجار والمضاربين والسامسة فكرة مبتكرة تضمن تسويقاً آمناً يبرر أرباحهم التي تعاضلت بصورة لافتة خلال السنوات الماضية، إذ ليس ارتفاع أسعار العقارات أو إيجاراتها، ولا حتى ارتفاع أسعار السلع، هما العامين الكليلين المستخرجين من تنامي حركة الزواج بتابعها المحافظات الثلاث العادية - وهذه باتت أشبه بالمحافظ الاستثمارية لجهة تحقيقها عوائد توظيفية عالية للكثلة المالية التي تجلبها - ولكن الملاحظ



على نحو جليّ أيضاً انصبغ الاستثمار إلى الوجهة العقارية أكثر من غيرها في محافظة كالسويداء ذات الغالبية الدرزية، لتبدو وكأنها سواحة عن نسق الخراب الذي يطوف منذ أعوام حول باقي أرجاء البلاد، فلم يشفع للنازحين انكسارهم المرير الذي رافق تحالهم وهم يدفعون ضريبة نزوحهم بصورة مضاعفة، مرّة حين خسروا أملاكهم، ومرّة حين صاروا طرائد سهلة لجشع السكان المحليين الذين لم يترددوا في طلب بدلات إيجار مرتفعة... وكان النازحون جاؤوهم من بلاد أخرى، تشير تقديرات التخصصيين هناك إلى أن أسعار العقارات تضخمت أربع أو خمس مرات عما كانت عليه خلال الأعوام الثلاثة الماضية، الأمر الذي رفع الطلب على المواد الأولية للبناء والإكساء، ما جعل أسعارها هي الأخرى تصاب بوزمة تضخم جديدة بدأت أواخر

عام 2012 وما زلت تسجل ارتفاعاً دورياً حتى الآن.

الاستثمار بعيداً من الحرب

يستحوذ القلة فقط على مفاتيح الموائن السورية، من يمسك بها يمسك بتجارة البلاد، ويصير جزءاً من عقود الاستيراد والتصدير. وهذه واحدة من أهم وصفات الثراء خلال الحرب، ولا نسن أنّ رئيس الحكومة السابق وائل الحلقي تحدث عن 25 شخصاً فقط يستوردون البضائع لكل سوريا، وهم الذين يتحكمون بواردات البلاد السلعية ويفتحون أسواقها أيضاً. ثم تنفرع مستورداتهم إلى حلقات التوزيع الرئيسية، ومعها تتخذ الأسعار تعريفات جديدة يتم تحصيلها من جيوب المستهلكين في نهاية المطاف. وإنّ المحافظتين الساحليتين ظلتا يبنيا عن تسلط الدمار، فإن السلطة أكلت اليهما القسط الأكبر من الاستثمارات السياحية خلال السنوات الماضية، في محاولة منها لاسترضاء الكتلة النقدية المتضخمة الراغبة بدخول توظيف آمن طويل الأجل.

بداية، جرى تسويق مشروع «إدارة وتطوير الاستثمار السياحي في الساحل السوري»، وجاء الترويج للمشروع تحت عناوين خصبة تتخطى محدودية فكرة الترفيه السياحي إلى تمكين الشركات السياحية المتخصصة من حوض استثمار شهي زبنت له وزارة السياحة السورية كثيراً، مقترحة تقديم الرياضة السياحية مثل تشيبت الأتباع البحرية بأنواعها، أو تحفيز برامج السير في الطبيعة والتخييم بها، ولا شك بأن تلك الاقتراحات الترويجية استندت إلى مخيلة متقنة لم تستجها الحرب القائمة، وهذا ما جعل وزارة السياحة تستسلم المزيد من الأفكار المثالية، صعبة التحقق ضمن مفردات الحرب الراهنة، إذ سعت إلى تحفيز السياحة الساحلية ذات الأسعار الرخيصة المناسبة لذوي الدخل المحدود، مقترحة أيضاً تحويل العمل التقليدي لمكاتب السياحة من تأمين حجوزات الرحلات الجوية، والحجوزات الفندقية إلى عمل شركات سياحية تقدم برامج متكاملة تحتوي على الحجوزات الفندقية، والرحلات السياحية المتضمنة أنشطة مثل الفوص، وألعاب التزلج المائي، والتخييم في الطبيعة، وزيارة المواقع الأثرية.

خسر قطاع السياحة في سوريا أكثر من 330 مليار ليرة خلال أعوام الاقتتال الماضية، وتهجس السلطة كثيراً في اشتقاق حلول لتضخيم قاجعة الخسارة في هذا القطاع الحيوي، لكن مديرية التخطيط في وزارة السياحة السورية تصرّ وفق تقديراتها الأولية، على أنّ تعافي هذا القطاع لن يحدث قبل عام 2030 بأحسن تقدير.

حالياً تلمّع السلطة مشروعها الآخر الخاص بالإدارة المتكاملة لاستثمار الساحل السوري، إذ إنها قطعت شوطاً فيه. وقد يكون فئاح الحرب الحالي متناسياً لإجراء خصخصة واسعة لهذا القطاع، سواء في الاستثمار الخاص المباشر، أو في تمكينه من وضع اليد على أراض تعود ملكيتها إلى الدولة، بحجة تهاهي الضرورة لإكمال مخططات المدن السياحية المتكاملة على الساحل السوري. .. فيما رحلة الاستثمار الخاص في السويداء باعتبارها المحافظة الآمنة الثالثة لا تزال فقيرة المكونات، إذ إن عدد المشاريع الاستثمارية لم يتجاوز 75 مشروعاً بين عامي 1991 و2016، بقيمة تقريبية متواضعة لا تتجاوز 10.5 مليارات ليرة. لكن 30 مشروعاً استثمارياً من بينها فقط تم تنفيذها فعلياً، ما جعل توظيف الكتلة المالية في هذه المحافظة ينجرّف نحو قطاع العقارات بصورة أساسية، وهذا صنّع وؤمة تضخمية طويلة الأجل يصعب تفادي مفاعيلها الارتكاسية.

بهذا لا يدخل النازحون إلى المناطق الآمنة ضمن تركيب أي من معادلات التضخم تلك. بالكاد ينتظر معظمهم تلقف العونة الغذائية الدورية لبرنامج الأغذية العالمية، حين تتذكّهم بها منظمة الهلال الأحمر السوري التابعة للنظام، وهم بذلك ما زالوا يستصلصون فرضيات البقاء من بين أنياب واقع ينشهم بفسوة.

أيمن الشوفي  
صحافي من سوريا

## تونس بعد الثورة: فلاحون من دون أرض وأراضٍ بلا فلاحين (2)

استعمال القوة لاسترداد «أملاكها»، ومن جهة أخرى تبين أنّ الاستيلاء على الأراضي بهذا الشكل ليس له جدوى كبيرة، فمن المستحيل تسجيلها في السجل العقاري أو تقديمها كضمان للحصول على قروض وتوفير حاجيات العمل الفلاحي. كما أنّ أغلب الفلاحين غير قادرين على استغلال تلك الأراضي فريداً أو حتى عائلياً، ما يستوجب إيجاد صيغ أخرى، لذا توجه الكثيرون نحو الحلول القانونية وذلك عبر تشكيل قوة على الحكومة لتقوم بتوزيع جزء من أراضيها على الشباب العاطلين من العمل، ودعمهم لكي يتمكنوا من إعمارها والاستئطاع منها. .. لحد اليوم، بقيت الدولة على تعنتها، وهي ترفض التنازل في تلك الأراضي، وأقصى ما تعد به هو تسهيل شروط استئجارها، خصوصاً بالنسبة للشباب المخرجين من شعب علمية ذات علاقة بالفلاحة. ضعف الوعي والتنظيم لدى الفئات المعنية يجعلها غير قادرة على تشكيل قوة ضاغطة حقيقية، خصوصاً أنه لا يوجد دعم من الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، ولا حتى تغطية إعلامية منصفة، على الرغم من كل شيء، هناك تجارب رائدة في مجال الاستغلال الأهلي لأراضي الدولة والتسيير الذاتي لها، نجدها خصوصاً في أقصى الجنوب التونسي حيث توجد واحات التمور...

\* الجزء الثالث: تجارب تسيير ذاتي في قلب الصحراء، «واحات جينة» مثلاً

محمد رامي عبد المولى  
باحث من تونس

الفلاحين للمطالبة بتوزيع أكثر عدالة للأرض والثروة. لم ينتظروا قرارات ومجالس حكومية لكي يطالبوا بحقهم في هذه الأراضي التي يتداول عليها للصوص منذ قرون. فمباشرة بعد هروب بن علي وسقوط منظومة حكمه، عمد الكثيرون من الفلاحين بدون أرض إلى الاستيلاء على بعض تلك الأراضي ومنع كبار المستثمرين الخواص من استغلالها، العديد من هؤلاء «المعتدين» (الذين تتم شيطنتهم في وسائل الإعلام القريبة من السلطة) هم في الحقيقة أصحاب الأرض الأصليين، أجبرهم الفقر والاستغلال وجبروت الاستثمار و«الدولة الوطنية» على حد سواء، على العمل كأجراء في أراضي أجدادهم وقيائلهم. في بداية الأمر، كان الأمر يشبه ردة الفعل الغاضبة، إذ تم تخريب العديد من الضيعات الواقعة على أراضي دولة، وفي بعض الحالات الاستيلاء على محاصيلها ومنع مستأجريها من إعادة استغلالها. وبحكم أنّ جهاز الدولة كان في حالة ارتباك كبيرة، خصوصاً أنّ ميزان القوة لم يكن في مصلحته، فقد تمّ التفاوض عن هذا الأمر ولم ترسل قوات الأمن للتدخل واسترجاع الأراضي.

تركزت عمليات الاستيلاء و«التخريب» التي يقوم بها صغار الفلاحين في ثلاث مناطق أساسية: شمال البلاد حيث توجد أكثر الأراضي خصوبة، الشريط الساحلي، وخصوصاً مدينة صفاقس حيث توجد ملايين أشجار الزيتون، وفي أقصى الجنوب حيث توجد واحات التمور. وتقدر الأرقام الرسمية حجم الأراضي التي تمّ الاستيلاء عليها من طرف المواطنين بعد الثورة بقرابة 68 ألف هكتار. بعد انتخابات 2011 واسترجاع الدولة شيئاً فشيئاً لـ «هيبتها» واستقرارها، تناقصت عمليات الاستيلاء لتتوقف تقريباً مع نهاية 2013. فمن جهة لم تعد الدولة تتوانى عن

التونس، إذا ما كان محظوظاً بامتلاك قطعة أرض صغيرة، فإنه في أغلب الأحيان لا ينتفع منها كثيراً، فما بين دلال الطبيعة وضرائب الحكومة وجشع الوسطاء وغلاء مستلزمات العمل الفلاحي (آلات وأدوات، أسمدة وأدوية، أعلاف...) تضع مداخله القليلة. تخلي الدولة عن مسؤولياتها وتقليصها أو إلغائها لختلف أشكال الدعم والإرشاد للفلاحين الصغار عمق أزمتهم ودفع الكثير منهم إلى هجر الأرض وفلاحتها، هذا إلى المدن للعمل في قطاعات أخرى. ففيمما يحظى المستثمرون والملاكون الكبار بامتيازات وتسهيلات من طرف الدولة (يدعوى التشجيع على الاستثمار وخلق مواطن شغل)، وعلى قروض ضخمة من البنوك العمومية والخاصة، فإن المزارع الصغير لا يمكنه الحصول على قرض صغير لعدم وجود ضمانات السداد! أما الفلاح الذي لا يملك إلا ساعديه فوضعيته أكثر تعاسة، إذ يجب عليه أن يشتغل بمقابل بخس في ضيعات الملاكين الكبار بدون تغطية اجتماعية وصحية، وفي ظروف تشبه ما كان عليه الإقطاع. وعندما يتقدم في السن يصبح عاجزاً تماماً عن توفير قوته بحكم ضعف مستواه التعليمي وعدم قدرته على الاندماج في مواطن شغل أخرى، هذا إذا ما وُجدت أصلاً في المنطقة التي يقطنها، سياسة التمييز التي تعتمدها الدولة والتي تخنق الفلاحين الصغار لقيادة المستثمرين الكبار تخلق كل يوم أفواجا من النازحين إلى المدن الكبرى، يتكدسون في أحزمة الفقر المحيطة بها أملاً بتحسين وضعتهم والحصول على عمل يمكنهم من إعالة أسرهم.

كر وفر...

كان من الطبيعي أن تمثل الثورة فرصة تاريخية للعديد من صغار

لم تتغير وضعية الأراضي (المبري) (الملوكة من الدولة) كثيراً بعد الثورة، فما زالت هذه تتصرف فيها كما تشاء، صحيح أنّ الكثير من الأراضي التي تمّ الاستيلاء عليها أيام حكم بن علي استردّت والحقت بـ «ديوان أراضي الدولة»، لكن هذا لم يجعل الملق أكثر شفافية أو نزاهة، كما أن تعاقب الحكومات في وقت وجيز، بالإضافة إلى توجهاتها النيوليبرالية، لم يكن من إطلاق نقاش جدي للمسألة، وإيجاد حلول عملية لهذا الملق.

من هو الفلاح؟

كلمة فلاح في تونس هي أصلًا غليضة وتجمع عدة فئات تحت راية واحدة رغم التناقضات الكبيرة بينها، فالعامل الفلاحي الذي يشتغل بضعة أشهر في السنة بأجر زهيد يعتبر فلاحاً مثل من يملك مستثمر يدير شركة إنتاج أو «إقطاعي» يمتلك مئات وآلاف الهكتارات، والشخص الذي يتقن أعمال الفلاحة ويشتغل بيديه هو أيضاً فلاح مثله مثل وريث غني يأتيه خراج أراضٍ لم تطأ أبداً أقدامه تريبها، ولكي نتبين أكثر حجم التفاوت في ملكية الأراضي الفلاحية في تونس، نورد مقتطفاً من مقالة كتبها الباحث التونسي منور العباسي (ونشرها في الأول من آب 2011 في جريدة «الشرق الأوسط»): «متوسط المستغلات 10.5 هكتارات، 54 في المئة منها لها مساحة أقل من 3 هكتارات، وهذه تغطي قرابة 11 في المئة من الأراضي فقط، فيما هناك نسبة 3 في المئة من المستغلات لها مساحة تزيد عن 50 هكتاراً، ولكنها تغطي 34 في المئة من الأراضي». أغلب الفلاحين التونسيين فقراء جداً، ويمكن تقسيمهم إلى صنفين: الذين يمتلكون أراضي عائلية صغيرة والذين لا يملكون إلا قوة عملهم وأجسادهم وبعض الخبرة، الفلاح



ترتبط الرواية التاريخية لقتل الحسين بالتحليل. والذين لا يحسبون جرعة التحليل بدقة ويفرطون في الهلوسة العقائدية يساهمون في تدينس هذه الرواية مثل ما يفعل أي خصم لهم. لذلك، لا شيء يقضي على أفكار هؤلاء سوى إتاحة الفرصة الكاملة لهم لقول ما يشاؤون، وكيف يشاؤون، حتى تكشف الحرية عن حفرة كبيرة في المنطق والأخلاق والضمير. فماذا يجد الخمور بأوامره وتحريضاته ليقوله إذا أعطيناه منبراً وجهوراً، غير القى الرجعي الخالص! سيتحول الضحايا إلى جناة، وسيتلفون يمنة ويسرة، ويلمسون وجوههم ولحاهم، يطلبون الرايا، ويعاينون أنفسهم وقد تحولت من سوء الخلق وشتم الناس إلى «شمر»، (الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين)، تحولوا في فيلم «المحولون» الذي نعيش داخله.

أو اضلهدتها. لذلك، خذ وقتك واطرح رأيك كما تحب. عندها، إذا ولدت فكرتك عرجاء فهذه مشكلتها هي، مشكلتك، خلل فيها أو فيك، ولا ذنب لي! أحياناً، تفسد الحريات الفرطة الكثير من الآراء، لأنها آراء غير سوية من الأساس، ولا تحتاج سوى إلى النور لتحترق في عالم الخرافات. أما الظلام والطردي والخبز والرقيب، هذه تحييبها وتدعمها! منبر الحسين في العراق، ممارسة قديمة وأصيلية، خاض هذا المنبر تلك اللعبة السقراطية منذ عقود، وما يحدث في بعض نماذج اليوم هو وقت فاض منوح لخطباء غير مؤهلين لتقليم أظفارهم بأنفسهم، لكنهم يمارسون مهمة الوظ العام لاجتمع متعب، بينما تنحسر الفرصة أمام خطباء تنويريين ومرشدين يشعرون بمسؤولية غير مسؤولة حرث الفتن وتربية الأرصد السحت.



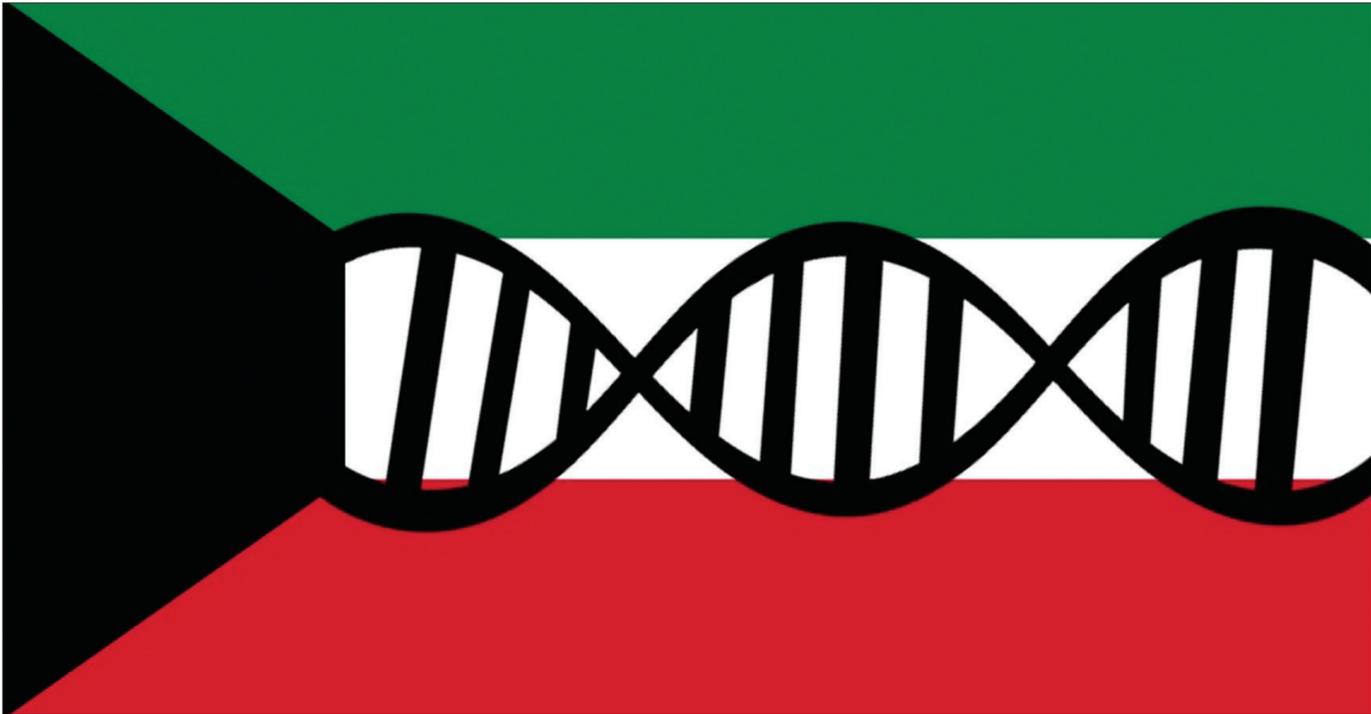
الشمر يعظ!

كان سقراط يهرق محاوريه بتركمهم يقولون ما يشاؤون، يسبح لهم بنشر أفكارهم والاستطراد بتوضيحها، يمنهم وقتاً لضرب الأمثلة واستعمال الكنايات والقصص، يجعلهم يسهبون في تبيان وجهة نظرم حد الإنهالك، حد المبالغة، حد الشرح المفضل والوضوح الزائد. لأن الأفكار الصلبة بجواء المنطق لا شيء ينقضها غير توضيحها! ولأن التعاليم الضارة بالمجتمع ستتداعى لو انكشفت تماماً وسقطت عنها ستارة القداسة والعقلانية. ثرثر حتى أفصمك، خذ وقتك حتى تخرج الفكرة الكاملة من رأسك، سليمة ومعافاة، لو أنني قاطعتك أو اضهدتلك أو منعك من الكلام فستولد فكرتك مبتورة الأطراف، فيظن سامعوك ومريدوك أنّ فكرتك حقّة لكنني شوهدتها لأني صادرت حرية رأيك. كما أنّ الأفكار المغلوطة قد تتشابه علينا، وتتصرف ككفكار قويمه لو أنني حبستها أو طاردتها

نص ورسم مرتضى كزار

## الكويت:

## نحو إلغاء قانون البصمة الوراثية



(عن موقع futuristech.info)

في بداية تموز / يوليو 2015، أقر البرلمان الكويتي مشروع «قانون البصمة الوراثية» الذي ينص على جمع عينات البصمة الوراثية من المواطنين والوافدين والزائرين وكلّ من يعبر الأراضي الكويتية. ويعاقب القانون من يمتنع عن إعطاء بصمته الوراثية بالحبس ستة واحدة وغرامة تصل إلى 10 آلاف دينار كويتي (33 ألف دولار أميركي).

أقر البرلمان ذلك القانون بعد أقل من أسبوع من هجوم انتحاري على مسجد الإمام الصادق في قلب العاصمة، أدى بحياة 27 شخصاً وجرح أكثر من مئتين. أنت الموافقة السريعة على ذلك القانون لتعزّز احتمال ان مسودة القانون كانت معدة قبل ذلك الهجوم، ولا شك بأن التعاطف الشعبي العام مع الضحايا وفر للحكومة الكويتية وأصحابها التمويل اللازم لتطبيق القانون بتبريرات عدة، في البرلمان فرصة لتسريع تمريره. من جهتها، بررت الحكومة تلك السرعة في الإقرار وفي توفير التمويل اللازم لتطبيق القانون بتبريرات عدة، منها أنه سيسهل مهمات الأجهزة المعنية في جمع المعلومات عن الجرائم وتحديد مرتكبيها، بالإضافة إلى التعرف على أصحاب الجثث المجهولة. بتاريخ 2 آب / أغسطس بعد أقل من شهر، أصبح «قانون البصمة الوراثية» سارياً بعد نشره في الجريدة الرسمية.

#### جدّ كاهزل

بدا القانون، كما علقت «واشنطن بوست»، موضوعاً لرواية خيال علمي سيئة، فالاكتشافات المتسارعة في علم الجينات وتقدم تقنياته توفر آليات جديدة للسلطات في الدول الحديثة لإدارة مجتمعاتها عن طريق استخدام ما يسميه «مايكل هاردت وأطونيو نيغري» آليات التحكم

الحيوي (البيو – سلطة). فهل سبقت الكويت في هذا المجال بلداناً أكثر تقدماً واستقراراً كبلدان أوروبا الغربية الشمالية؟ ففي هذه الدول لم تجرؤ الطبقات الحاكمة حتى الآن على «فرض» ما فرضته الحكومة الكويتية جبراً، أي إقامة قاعدة معلومات حيوية عن طريق المسح الشامل للحمض النووي لمواطنيها وبقية المقيمين في أراضيها. فما زالت صلاحية أجهزة الشرطة في السويد مثلاً، في ما يتعلق بجمع وحفظ البصمة الوراثية، محصورة في التهمين بجرائم معينة أو الصادرة بحقهم أحكام سجن.

لا يبدو قانون البصمة الوراثية في الكويت غريباً أو جزءاً من رواية خيال علمي، فالكويت انفردت بين دول العالم بإعلانها قبل ثلاث سنوات عن مشروع يهدف لإخضاع الوافدين للعمل لفحص طبي للكشف عن المثلثين والمتحولين جنسياً منهم. وهذه المرة أيضاً، ستكون قاعدة البيانات التي ستقيمها الكويت فريدة من نوعها على مستوى العالم، إذ ستشمل بيانات ما يزيد على أربعة ملايين نسمة من مواطنين وأجانب، علاوة على مئات الألوف من السياح الذين يزورون الكويت سنوياً، ومثلهم من العابرين من منافذ الكويت الجوية والبحرية.

ما يثير الحيرة هو مدى تمهيد المسؤول السياسي الكويتي للتعاطي مع هذا الكم من المعلومات خارج استخدامها الأمنية؟ هل تملك الكويت القدرات البشرية القادرة على الاستفادة علمياً وتقنياً من بقاء قاعدة البيانات؛ علاوة على ذلك، فإن استيراد الطاقة البشرية من الخارج، علاوة على العداات والبرامج اللازمة لإنشاء قاعدة معلومات كهذه، وبإمكانها وتجديدها، يتطلب استثماراً يفوق بكثير مبلغ الأربعمئة مليون دولار المخصصة

لها. أما ما ستتطلبه حماية أمن المعلومات المخزّنة ومنع اختراقها فهو أفقٌ مفتوح في علم تستند فيه المنافسة بين حكومات وأجهزة مخابرات وشركات أمنية وشركات مختصة بالصناعات الحيوية على مثل ما ستحتويه قاعدة المعلومات الكويتية.

#### معارضة قانون البصمة

على الرغم من التعاطف الواسع مع ضحايا الإرهاب في مسجد الصادق وغيره، إلا أن القانون الجديد واجه معارضة من فئات متعددة ولأسباب مختلفة. فمن جهة ثمة تساؤلات بديهية تتعلق بعضها بحاجة الكويت لقاعدة بيانات الحمض النووي التي سيوفرها تطبيق القانون. عبر النشطاء المدافعون عن حقوق الإنسان عن مخاوفهم من تداعيات تطبيق قانون البصمة في ما يتعلق بتوسيع سلطات الأجهزة الأمنية وتمكينها من تكثيف انتهاك خصوصية الأفراد. وتشير اعتراضات أخرى إلى تداعيات استخدام معطيات البصمة الوراثية في المنازعات حول تحديد الأنساب والميراث، بل وفي تقرير «الكفاءة» بين الأصدقاء وتفكيك الأسر! وثمة اعتراضات تشير إلى مخاطر القانون على العلاقات الاجتماعية في مجتمع تتحكم في فضاءاته العامة السياسية والاجتماعية قوى تشجع التوسيع بتراثبات الأصول المعروفة بـ «الطيارة»، عن الانتماء القبلي. فهذه قبائل عدنانية وتلك قبائل قحطانية، وبينهما يتراتب الآخرون بين خصيرية وبياسر وهولة وغيرهم من «الطرائين».

بتراثبات الأصول المعروفة بـ «الطيارة»، وعن معنى الرصاص الملون الذي يترأى في السماء، والفروقات بين الرصاص المسمي حارق – حارق – متفجر، وبين الرصاص الآخر الذي اكتفى بوظيفة الحارق، وعن الفروقات بين الطائرات التي تسمع هديرها ولا تراها، وتلك التي تسمع هديرها ونراها، ولا بأس من تذكيرهم بين وقت وآخر أن هناك أسئلة يجاب عنها في الشارع، وأسئلة يجاب عنها في البيت.

يسألون وهم يقضون عرائيس الذرة المسلوقة، خارجين قبل يوم العطلة هذا من المدرسة ودروس القومية والتربية الوطنية والأشعار والأناشيد المدججة بالتفاؤل. في النهاية لا بد من تقديم إجابات، على غرار مقاسات الألبسة والأحذية، ولو أدى ذلك هنا في الشارع كما هناك في الحوانيت، إلى بحث دؤوب عن المقاسات الدقيقة التي تصل لخيبات أمل الشعوب. وتتعب الشعوب كذلك؟ نعم وتحنني ظهورها، تترحن بسكرات النسيان والربع ليسوا منهم.

\*\*\*

\*\*\*

\*\*\*

ليس أهالي المعتقلين والمفقودين والقتلى، من يناقش موضوع الحرب والسلام، ولا الجرحى الراضون تحت أثقال جباههم في المشافي، ولا الذين واللواتي يسبرون بساق واحدة، ولا الذين خسروا بيوتهم، ويتامون في الحقائق والأرزفة، ولا الذين يحسبون في بيوت بلا ماء ولا كهرباء، ولا الذين يحسبون وهم يتحدثون مع أولادهم بصوت عال وهم يعبرون الشوارع، لفرط ذكر المدن الأوروبية التي هزت الوعي الجغرافي الغافي لقرن خلا محبوب مسكنات اتفاقية سايبس – بيكو وحراسها، أن «غوتنبرغ» تابعة لقضاء جرابلس التي كان يسيطر عليه

تنظيم الدولة الإسلامية، وأن «بروكسل» تابعة لقوات حماية الشعب «الأسايش»، ولا الذين يلحون على ضرورة الاستعجال في أوراق «لم الشمل» مع إدراكهم أنه لم يبق شمل ذو عدد لليموه، وهذا العدد القليل يحتاج لنظمة دولية بوزن الأمم المتحدة لتجمعه على فئجان قهوة.. يجري بحث موضوع الحرب والسلام عند أهل الحرب والسلام، بينما هؤلاء حطب الحروب والصراعات الدموية، هؤلاء الأشلاء التي

العليا للدولة»، تاركاً تحديد تلك المصالح لمشيئة السلطة التنفيذية، وهي في الكويت تبقى رهينة لتوازن القوى داخل العائلة الحاكمة. أما الهدف الثاني فيتمثل في إطلاق يد السلطة التنفيذية وجهازها الأمني لتبادل المعلومات الحيوية التي سيوفرها تطبيق القانون عن سكان الكويت مع جهات أمنية خارجية من دون أن يكون ذلك التبادل مشروطاً وخاضعاً لرقابة برلمانية فعالة.

#### الخروج من الورطة

بجانب المعارضة الداخلية المتعددة الأوجه، واجهت الحكومة الكويتية انتقادات منظمات دولية معنية بحقوق الإنسان. وقد يشكل قبول المحكمة الدستورية باللعون المقدمة إليها حول دستورية القانون بداية إعادة النظر في القانون أو سحبهِ، وهذا ما يوحي به تصريح أدلى به قبل أيام رئيس مجلس الأمة الكويتي (قبل حلّه) عن التوصل إلى «تفاهم مع الحكومة حول تعديل قانون البصمة الوراثية بحيث يشمل المشتبه فيهم وحدهم».. إلا أنه أضاف أن الأمر سيظل متروكاً لوزارة الداخلية لتحديد من هم فئة «المشتبه فيهم»، وهذا لا يبشر بخير. ولهذا فقد يكون قرار حل مجلس الأمة الحالي، وإجراء انتخابات مبكرة ستأتي بتרכيبة نيابية يؤمل أن تكون أكثر حرصاً على حقوق الإنسان وعلى السلم الاجتماعي في الكويت، من المجلس المنحل الذي أقر قانون البصمة الوراثية!

**عبد الهادي خلف**  
أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة لوند - السويد، من البحرين

## الخميس

20 تشرين الأول 2016 العدد 13493  
Thursday October 20, 2016

مليار دولار حجم موازنة العراق لهذا العام. ويُفترض أن تعتمد لتغطيتها على إيرادات النفط بنسبة 70 في المئة، بينما يصل الدخل السنوي من صادرات النفط إلى 56.9 مليار دولار على اعتبار سعر البرميل 40 دولاراً.

## 99.5

### فكرة

### الإدمان الافتراضي

مع بداية الألفية الحالية، سرت شائعة في بلداننا تقول إن طريق النّجاح العملي في العالم الجديد تبدأ بتعلّم شيئين: اللغة الإنجليزية والتعامل مع الكمبيوتر. وهكذا راح الشباب ينكبون على تعلّم اللغة ويسعون لاقتناء كمبيوترات تمكّنهم من مواكبة آخر إبداعات الحداثة. وبعد قليل راحت هذه الكمبيوترات تصير متّصلة بالعالم عبر شبكة الإنترنت التي سرت شائعة أخرى تقول إنّها ستجعل العالم قرية صغيرة. وبعدها دخلت الميدان مواقع التواصل الاجتماعي وتعزّز وهم الانتماء إلى هذه القرية لدى الجميع. ومع الوقت صارت هذه المواقع رائجة إلى حدّ أنّنا صدّقنا أنّها قادرةٌ على تقريبنا من الآخرين الذين اكتشفنا أنّهم يشبهوننا، بل إنّها صارت الوسيلة التي نتواصل من خلالها مع من هم أكثر قرباً منّا، ونوثّق عبرها لحظات حياتنا، الميزة والعادية، ونصنع ثوراتنا ونخوض جدالاتنا على صفحاتها، ونحلم بعالم أفضل بعد أن رأينا ما في قريتنا الصغيرة من انعدام عدالة مشترك. لكننا خلال هذا كلّهُ لم ننتبه إلى أنّنا نفرق في وهم كبير ونصير بعيدين عن واقعنا، وأكثر اندماجاً مع هذه التكنولوجيا الرقمية النحازة ضدّ الزمن.

في الجزائر تبّهت مجموعة من الأطباء النفسيين إلى مخاطر هذا العيش خارج الزمن والهرب من الواقع وتعقيداته إلى الافتراض وبساطته، الذي بات اليوم يصنّف إدماناً (وإن كانت منظّمة الصحة العالميّة لم توافق على هذا التصنيف بعد). هكذا افتتحت أوّل عيادة لـ «العلاج من الإدمان على الإنترنت في العالم العربيّ وأفريقيا» في مستشفى بشير منتوري بفسنطينة التي تبعد 450 كيلومتراً عن عاصمة بلد يفوق عدد سكّانه 40 مليوناً ونسبة مستخدمي الإنترنت فيه منهم 32.8 في المئة، وفيه أكثر من 9 ملايين مشترك على موقع فايسبوك. في العيادة يجري العلاج عبر الرياضة التي تمارس مع أشخاص يعانون من المشكلة نفسها، ويوصل الأمر ببعضهم حدّ البقاء أمام شاشة الكمبيوتر طوال اليوم دون تناول الأكل أو دخول الحمام. العوارض التي يعالجها المختصون في العيادة تتراوح بين التملل والقلق وتصل إلى التصرفات العدوانية عندما لا يستطيع المدمن الدخول إلى العالم الافتراضي. وقد استقبل العلاجون في العيادة أكثر من مئة شخص في حزيران/ يونيو الماضي، عندما أغلقت الحكومة مواقع التواصل الاجتماعي بسبب تسريب امتحانات البكالوريا عبرها.

نسبة مستخدمي الإنترنت في الجزائر ليست مرتفعة إذا ما قورنت بالنسب في العالم (النسبة مثلاً 92 في المئة في بريطانيا و69.6 في المئة في السعودية)، والدول التي افتتحت فيها عيادات للعلاج من الإدمان على الإنترنت قليلة، مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والصين وكوريا الجنوبية التي فيها واحدة من أسرع شبكات الإنترنت في العالم، ونسبة المدمنين على الإنترنت بين مراهقها تصل إلى 14 في المئة منهم، لكنّ هذا التنبّه المبكر إلى المشكلة فيه وعي بالحاجة إلى «استعادة الناس من الوهم إلى الواقع»، وهذا مأزوم على المستويات كلها، ويبدو في الجزائر متوتراً للغاية بسبب تراجع تدابير الدولة الرعائية – الإنكاليّة في الواقع – التي سدّت بفضل عائدات النفط والغاز في ما مضى بعض شقوق تعطل الإنتاج الفعلي الصناعي والزراعي (أي غير الربحي)، وما استجره ذلك من نسب بطالة مرتفعة ومن تكدس النازحين من الأرياف في المدن كبتطّلين. وهي أزمت فردية واجتماعية حقيقية، إلا أنّ الهرب منها ليس حلّاً.

**ربيع مصطفى**

تفقرص فقراتها، يشيب شعرها ويتساقط، ينحسر بصرها، توقّف

الجلطات دوران دمهـا، وقد تتسبب بوقف عمل قلوبها، وتنشئ أبدانها السرطانات الخبيثة.

\*\*\*

التغييرات في مكان والتلاعب بالكلمات في مكان آخر..لا يمكن أن تحل الكلمات، مهما حملت من قوة، محل الحقائق والوقائع. تزداد المهام صعوبة بعدما ينس الناس من أي تغيير ذاتي أو غير ذاتي للسلطة. قد يأخذهم الغرور إلى تغييرات أخرى، كتغيير الشعب بصيغة الهجرة نحو شعب آخر، وهجرة الاستاير والقوانين نحو قوانين بلاد أخرى. وما الطرقات الآمنة لخروج المسلحين من المناطق والبلدات المحاصرة، إلا الطرقات ذاتها التي سيدخل منها مسلحون آخرون إليها، وما الثورات المضادة إلا الثورات ذاتها وقد غادرت أهدافها ومساراتها، وتلبست ثوب أعدائها واستعارت صوتهم ولغتهم وأسلحتهم.

حالة دخلت بدمعها، أو بأحبايل وجباثت ودفع لوجج من دول ومنظمات وتحالفات وجبهات عصر اليأس. عبرت بخبرة ومهارة إلى براءة الشعوب المدججة بالأمال، لتقبض باكف هصورة على أعناقها، قبل أن تبدأ بمقاومتها على مقادير الهواء والماء والخبز. لا لله، رغم كل التوسلات التي تعاقبت عليها السنون والقرون، اقتنع بتغيير «ما» بهذا القوم، ولا القوم اقتنعوا بتغيير «ما» بأنفسهم.

**عزيز تبسي**  
كاتب من سوريا

جمعية خيرية عاملة في غزة أعلنت إغلاقها حساباتها البنكية وتوقفها عن تقديم المساعدات لسكان القطاع الذين يعتمد 80 في المئة منهم على المساعدات الإنسانية. وكانت إسرائيل قد طالبت الأونروا بدفع مليون دولار ونصف مقابل السماح بنقل الأموال إلى القطاع العام الماضي.

حسان مناصرة / الأردن

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»  
- المرأة الريفيّة في تونس - وجيدة عبد الرحمن الهاني  
- «التفشي» في الحرب السورية - كمال شاهين  
- صورة مقطوعة لـ «الحشد العشائري» - زاهر موسى  
- «حركة غلابة»... الدعوة إلى ثورة جديدة في مصر! - أحمد عبدالمعطي  
- تابعونا على «فيسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi  
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

## بداية ساخنة للموسم الجامعي الجديد في مصر كشوف العذرية وأشياء أخرى

المجلس الأعلى بتصريحات نارية ورافضة لوقف جامعة القاهرة قائلاً: «إن رئيسها تصرف بشكل شخصي لأنه في الأصل محام وكان عميداً للحقوق»، وأضاف الوزير «أنه المتحدث الوحيد باسم الجامعات، ويرفض رفع قضية على عضو مجلس النواب لأن ما حدث أمر داخلي في المجلس النيابي وهو حر في اتخاذ القرار تجاه النواب»، وأن بناتنا «زَيّ الفل»، وهو ما دعا أعضاء هيئات التدريس للحديث عن أن القانون والدستور يجعل الجامعات ومجالسها مستقلة في اتخاذ القرار، وأنه لا سلطة للوزير في ذلك. وأن المجلس الأعلى للجامعات هو مجلس للتنسيق بين الجامعات والتمثيل أمام البرلمان إذا استدعى الأمر. أما اتخاذ القرارات فهو سلطة كل جامعة. والمعروف أن رئيس جامعة القاهرة، د. جابر نصار، له آراء مستقلة وتنويرية، وهو رئيس الجامعة الوحيد الباقي الآن من نظام الانتخاب للقيادات الجامعية وفق التعديلات التي تمت على قانون الجامعات عقب ثورة يناير 2011، كما أعلن أنه ضد العودة لنظام التعيين ويفضل نظام الانتخابات المعمول به في أغلب دول العالم، وهو القانون الذي تم التراجع عنه مؤخراً. وكان عرف بقراره بمنع النقاب لأستاذات الجامعات والعملات بها.

### ارتفاع المصروفات

على العامش، تراجعت الاعتراضات القليلة على زيادة المصروفات الجامعية هذا العام سواء لطلاب الانتظام أو الانتساب، لأنها في النهاية «لم تتجاوز الحد المعقول» (أقل من ألف جنيه مصري، أي ما يوازي 100 دولار) وهي زيادة تتم لأول مرة منذ سنوات، والجامعات معدومة لأن المخصصات المالية من الدولة لم تصل حتى إلى الحد الأدنى الموجود في الدستور وهو نسبة 2 في المئة من الدخل القومي للصرف على الجامعات، وهكذا رفعت بعض الجامعات الرسوم الدراسية بنسبة قليلة، وكذلك فرضت «تبرعاً إجبارياً» من الأساتذة مقابل الأجازات المنوحة لهم، سواء للسفر للخارج أو الداخل أو للتدريس بالجامعات والمعاهد الخاصة، ووصل المبلغ في بعض الجامعات إلى ألف دولار سنوياً. وتراجعت أيضاً مناقشة أوضاع التعليم الجامعي بعد خروج الجامعات المصرية من التصنيف الدولي لأفضل 500 جامعة، اللهم إلا جامعة القاهرة التي حافظت على مكانها ضمن أفضل 500 جامعة... في المرتبة الـ400 دولياً.

### إيمان رسلان

صحافية من مصر مختصة بالتعليم

لم تمر سوى أيام قليلة على بداية عام دراسي جديد بالجامعات إلا وانفجرت الأزمات الاجتماعية والسياسية (وفي الذيل، التعليمية) في وجه الجميع، من الطلاب إلى أولياء الأمور إلى السياسيين.. وكان أكثرها حدة هو تقدم أحد نواب البرلمان الحالي باقتراح إضافة بند عند التقديم لكل سنة دراسية: إجراء كشف العذرية على طالبات التعليم العالي! وكانت حجة النائب (واسمه الهامي عجينة) أن مقترحه الذي يجهز له الآن كمشروع قانون يهدف للحد من الزواج العرفي في الجامعات. وصفت بعض التعليقات اقتراح النائب (الذي لم يتراجع عنه حتى الآن بقولها إن: «غشاء البكارة سيصبح أحد مسوغات وشروط التعليم والتخرج من الجامعات». الدعوة استفرت المنظمات النسائية التي وصفتها بـ «الاشذ»، وعدد منها رفع قضايا أمام النائب العام ضدّه وتقدم بمذكرات إلى مجلس النواب ضد تصريحات النائب ومشروع القانون، فاضطر البرلمان إلى تحويل النائب للجنة القيم لسماع أقواله، خاصة بعد أن وقفت نائبات بالمجلس معاً ضدّ تصريحاته.

### كشوف العذرية وهتك الأعراض

وكان يمكن أن يقتصر الأمر على ذلك، ويصبح قضية نسائية للمنظمات النسائية ضد النائب وأمثاله، خاصة بعد أن ظهر نائب آخر أعلن عن تضامنه في تبني هذا الاقتراح ودعمه التشريعي له. ولكن الأمر تطور إلى صراع وتجادب داخل الجامعات نفسها، وبين أساتذة الجامعات ورئيس جامعة القاهرة من جهة ووزير التعليم العالي من جهة أخرى. ف عقب إصدار أعضاء هيئات التدريس لبيانات الإدانة والرفض لهذا المقترح الغريب، أقام رئيس جامعة القاهرة دعوى قضائية أمام النائب العام يتهم فيها النائب بالسبّ والذمّ إضافة لتهمه الخوض في الأعراض، وعقوبتها في القانون هي الحبس الجوبي. وكان الوحيد الوحيد الذي تصدى للنائب، من إجمالي 21 جامعة حكومية يضمها المجلس الأعلى للجامعات. وبدلاً من خروج بيان تضامن في القضية من هذا المجلس الذي تضم جامعاته ما يقرب من 50 في المئة من الطالبات (أي حوالي 850 ألف طالبة جامعية طبقاً لإحصاء الأخير للجهاز المركزي للإحصاء، وهو مؤسسة حكومية)، خرج وزير التعليم العالي الذي يرأس

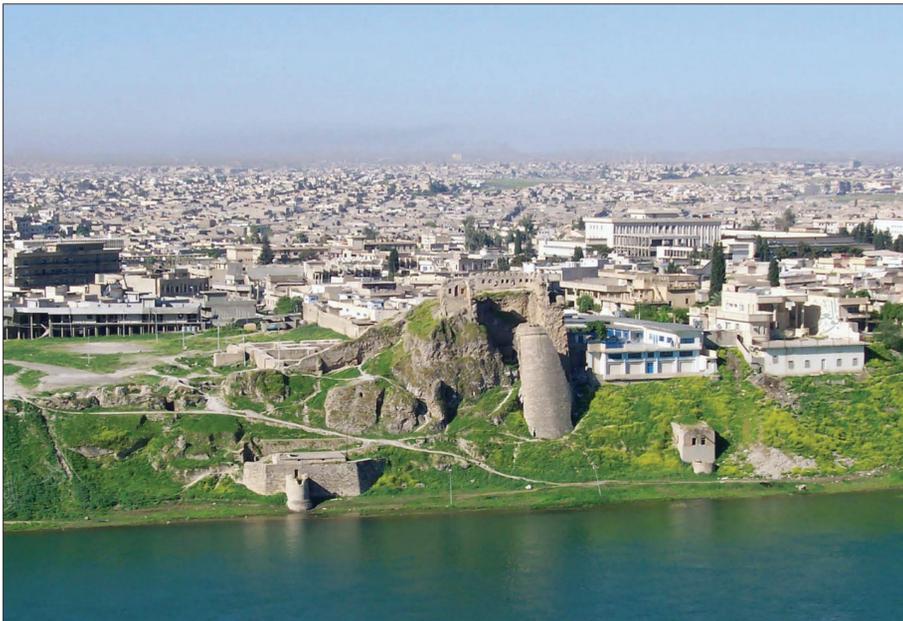
### العودة لحسني مبارك

لم تكن هذه أزمة وزير التعليم العالي الوحيدة مع بداية الدراسة، فقد سبقها بتصريحات وقرارات واضحة بأن انتخابات الاتحادات الطلابية أوائل الشهر القادم ستتم وفق لائحة عام 2007 التي تم إقرارها في عهد الرئيس حسني مبارك وليس وفق اللائحة الطلابية لعام 2013 التي تم العمل بها في انتخابات العام الماضي. وقال تحديداً: «إن الانتخابات ستتم في كل جامعة بشكل مستقل، ولن يكون هناك انتخابات على المستوى القومي (الوطني) لاختيار منصب رئيس اتحاد طلاب الجمهورية أو نائبه أو اتحاد طلاب مصر من الأساس»، مبرراً قراره «بوجود منازعات أمام القضاء حول هذه اللائحة من جانب الطلاب أنفسهم ولم تحسم بعد»، بينما الحقيقة أن الجميع العام الماضي سواء من الطلاب أو من مسؤولي الجامعات لم يعترضوا على اللائحة والعمل بها حتى المرحلة النهائية من الانتخابات (منصب اتحاد طلاب

## .. بألف كلمة

## الموصل الجميلة

الموصل ثاني أكبر مدن العراق ومركز محافظة نينوى.. مدينة جميلة خضراء ضاربة في التاريخ، تقع على ضفاف نهر دجلة، سقطت بيد تنظيم «داعش» في حزيران/ يونيو عام 2014، وعانت خراباً ودماراً وأرهب سكانها، وهم متنوعون وبينهم نسبة كبيرة من المسيحيين ومن مكونات أخرى. الموصل الجميلة تستعدّ للعودة إلى حضن العراق. المزيد من الصور على موقع «السفير العربي»



(من الإنترنت)

## مدونات

### سيناء خارج التغطية

مقتطفات من أخبار طالعة من سيناء خلال الأيام اللي فاتت..  
وبستيق بالتاكيد - عشان عارفة إن في ناس تحب تقول الواحد كلام - إن الهدف من السرد ده مش إنني أقول إن أي جريمة قتل مهمه رد على الثانية، لكن الهدف إننا نلتفت لأن فيه منطقة في بلدنا الأمن فيها منهار تماماً وأي حد يحاول ينقل حقيقة اللي بيحصل بشكل دوري بيحاكم عسكري أو يتعرض للترهيب، أو لهجمة تشويه وتشكيك في وطنيته، وإن الحقيقة الوحيدة اللي نعرفها عن سيناء حالياً هي إن الناس اللي هناك، سواء مدنيين وعاشين مع أهاليهم وبيتابعوا أعمالهم وحياتهم، أو عسكري وضباط اتبعوا هناك من غير قدر كافي من التدريب والاستعدادات، هم اللي بيدفعوا الثمن كل يوم، هم وأسرهم.. 14 أكتوبر 2016: «استشهاد 12 مجندا وإصابة آخرين» في هجوم لإرهابيين على نقطة تفتيش بشمال سيناء» 12 أكتوبر 2016: «أهالي العريش من شوية في شارع خزان المدينة عثروا على جثة سيدة مقتولة بها آثار طلقات رصاص.. يقوموا بعد شوية وهما ماشيين يلاقوا جثة زوجها مرمية بالقرب من موقف المدينة الرئيسي، ويها برضو طلقات رصاص.. بعد ما اتخطفوا امبارح» (...) 3 أكتوبر 2016: «شهود عيان: مجموعة مسلحين يستقلون سيارة فيرنا قاموا بإنزال شاب يدعى «إبراهيم الحمراوي» من قبيلة السواركة مرتديا ملابس الإعدام (...) ثم قاموا بذبحة أمام المارة»

من صفحة Mona Self (عن فيسبوك)

## أنت معلّم في فلسطين

إذاً، أنت على موعد دائم مع مقعد فارغ، ينتصب فجأة في وجهك ووجوه تلاميذك. ذات صباح مدرسي، مقعد لتلميذ خطلت عمره رصاصه صهيونية، لسببين غربيين: لأنه أخطأ ومشى في مرمى الرصاص، ولأنه فلسطيني ولد على هذه الأرض لأبوين فلسطينيين وأجداد فلسطينيين (...). مقعد الكائن اللاهائي الذي تخجل من مراه أرقام كتاب الرياضيات المحدودة، مقعد يجلس في طيف لطف كان هنا البارحة، يرفع إصبعه لمعلم الرياضيات، وينحني متحمساً على ورقة الامتحان في حصة العلوم (...).

أنت معلم في فلسطين، إياك أن تتفاجأ بجندي صهيوني صغير، يصرخ عليك ينعتك بالقرء، طالباً منك، أمام تلاميذك، أن تخلع ملابسك كلها، ويصفعك إن رفضت. وإن لم ترفض غالباً، ابتسم للطلاب واهمس لهم كأذباً بعينيك، على الرغم من صراخ الجنود، أنك أقوى من إهاناتهم، وأنت غير مهتم أبداً.

أنت معلم في فلسطين، قل لتلايك بصوت عال إن أعلى جبل في فلسطين هو الجرمق، شمال شرق الجليل، وليس تل العصور في رام الله، كما قررت «أوسلو» الكذابة. وحين يواجهك الطلاب المستغربون بما يقوله النعاج المدرسي، أمسك الصفحة بيدك، ومزقها من جذورها، واطلب من الطلاب أن يفعلوا مثلك، ثم قل لهم اتركوا بابا التمزيق، في عمق الصفحة: لنجعله شاهداً على أجمل وأعدل أنواع الجرائم.

من صفحة زياد خدش (عن فيسبوك)

## سأقاطع

أنا فراس، مخرج (أحاول أن أكون) منذ خمسة أعوام، قررت مقاطعة الصناديق الإسرائيلية لسببين:

1 - لن يدعمني أحد حين أتكلم عن همّي بتحرر شعبي من الصهيونية. كل شيء في مؤسساتهم بني على نفيي أصلاً كفلسطيني.  
2 - شننا أم أينا فإنه يجري استخدامنا لتلميع صورة الاحتلال في العالم بأنه نظام تعددي. منذ ستة أعوام وأنا أتجول مع سيناريو محاولاً تجنيد الأموال له من أوروبا والعالم العربي، لقد جندنا جزءاً من الميزانية فقط، وما زلنا مستمرين، الطريق طويل وصعب، وتعبت من التعب، لكن هذه تضحيات سخيفة مقابل ما يفعله شعبنا. أدعو كل زملائي السينائيين لمقاطعة الصناديق الإسرائيلية، أكثر من يزايد وطنياً (...) على كل من استعمل الصناديق الإسرائيلية من المخرجين الزملاء، نتفهم من صار مرتبطاً بتلك الصناديق، ولا مفرّ عنده أو عندها من فك الارتباط الآن. كذلك يجب الكف عن العراء بأن كل من يدعو للمقاطعة إنما يقوم بالزيادة الوطنية على الفنانين والمخرجين. بحدّ علمي لم يستفد أحد في الداخل من الدعوة إلى المقاطعة يوماً، فألف تحية لهم، أضم صوتي إلى صوت الزميل صالح بكري وانتظر مشاهدة فيلم «أمور شخصية» في فلسطين، أتمنى للمخرجة الصادقة مهى حاج النجاح (...) بالطبع، علينا أن نجد بدائل والمهم منذ اليوم هو قرار المقاطعة.

من صفحة Firas Diab Khoury (عن فيسبوك)